Quarterly Research Journal of Arabic
ALOROOBA
العروبة
ISSN (Print): 2710-5172
ISSN (Online): 2710-5180

***Volume**: 4* ***Issue**: 2 (April – June 2023)*
Alorooba Research Journal
***ISSN (Print):** 2710-5172* ***ISSN (Online):** 2710-5180*
***HJRS**: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1021427#journal_result*
***Issue URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/issue/view/11*
***Article URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/63*

***Title**:* بعض قضايا الفكر الإصلاحي الديني عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ودورها في تربية الناشئة وتعليمها

Some issues of the religious reformist thought of Sheikh Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi & its role in raising & educating youth

Authors**:* ***Prof. Dr. Abdullah Kerroum
(University Ahmed Draia Adrar – Algeria)
E-mail: kerroum1974@gmail.com
ORCID: https://orcid.org/0009-0001-4123-1839

Laghrissia Zaghrat
(PhD Scholar, University Ahmed Draia Adrar – Algeria)
E-mail: laghrissiazaghrat@gmail.com
ORCID: https://orcid.org/0009-0009-5495-6984

***Indexation**:*
ISSN, DRJI, Euro Pub, Academia, Google Scholar, Asian Research Index, Index Copernicus International, index of urdu journals.

***Citation**:* *Prof. Dr. Abdullah Kerroum, & Laghrissia Zaghrat. (2022). Some issues of the religious reformist thought of Sheikh Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi & its role in raising & educating youth:* بعض قضايا الفكر الإصلاحي الديني عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ودورها في تربية الناشئة وتعليمها. *Alorooba Research Journal, 4(2), 96–112. Retrieved from: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/63*

Published: *2023-04-28*
***Publisher**:* *Alorooba Academic Services SMC-Private Limited Islamabad-Pakistan*

بعض قضايا الفكر الإصلاحي الديني عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

ودورها في تربية الناشئة وتعليمها

Some issues of the religious reformist thought of Sheikh Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi & its role in raising & educating youth

Prof. Dr. Abdullah Kerroum
University Ahmed Draia Adrar – Algeria
E-mail: kerroum1974@gmail.com ORCID: https://orcid.org/0009-0001-4123-1839

Laghrissia Zaghrat
PhD Scholar, University Ahmed Draia Adrar – Algeria
E-mail: laghrissiazaghrat@gmail.com ORCID: https://orcid.org/0009-0009-5495-6984

Abstract

This study aims to shed light on some of the efforts of the Algerian scholar Sheikh Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi during the period of the French occupation in Algeria, who tried to obliterate the national identity, seeking to destroy its components by spreading ignorance, illiteracy and others.

It became imperative for our senior sheikhs, members of the Association of Muslim Scholars, to confront the destructive colonial trend and to cultivate ways of reform and awareness within Arab society in general and Algerian society in particular. What are the blessed efforts made by Sheikh Al-Ibrahimi through the issues he tried to address and the extent of their impact on reforming the attitudes and mentalities of the youth during that period? In this research paper, we will try to raise some of the intellectual issues of the scholar Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi.

Keywords: *Thought; Repair; Issues; Al-Bashir Al-Ibrahimi, Algerian Scholar.*

بعض قضايا الفكر الإصلاحي الديني عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ودورها في تربية الناشئة وتعليمها

أ.د. عبد الله كروم

الجامعة الأفريقية أحمد دراية أدرار – الجزائر

لغريسية زغرات

الباحثة بمرحلة الدكتوراه، الجامعة الأفريقية أحمد دراية أدرار – الجزائر

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على بعض جهود العلامة الجزائري الشيخ محمد البشير الإبراهيمي خلال فترة الاحتلال الفرنسي، الذي حاول هذا الأخير طمس الهوية الوطنية، ساعيا إلى تدمير مقوماتها من خلال نشر الجهل والأمية وغيرها. فأضحى لزاما على مشايخنا الأجلاء من أعضاء جمعية العلماء المسلمين التصدي للتيار الاستعماري المدمر، وزرع سبل الإصلاح والتوعية داخل المجتمع العربي عموما والجزائري على وجه الخصوص. فما هي الجهود المباركة التي بذلها الشيخ الإبراهيمي من خلال القضايا التي حاول معالجتها؟ وما مدى تأثيرها في إصلاح التوجهات والعقليات لدى الناشئة خلال تلك الفترة؟ سنحاول في هذه الورقة البحثية إثارة بعض القضايا الفكرية للعلامة الشيخ البشير الإبراهيمي.

الكلمات المفتاحية : الفكر؛ الإصلاح؛ قضايا؛ الإبراهيمي، العلامة الجزائري.

مقدمة:

شهدت أُمتنا عبر تاريخها المجيد جملة من التحديات والمخاطر، كان لها الأثر البالغ في تراجع الذهنيات والمبادئ التي استهدفها المستعمر الفرنسي من خلال تدمير الهوية الوطنية الذي حاول طمسها والقضاء عليها منذ احتلاله للجزائر، فعمد إلى تشويه الدين الإسلامي،

ونشر البدع والفساد في الأخلاق بشتى الطرق والوسائل، مستهدفا اللغة العربية الذي حاول القضاء عليها واستضعافها في نفوس أبناء الأمة الجزائرية.

ففي ظل الركود والضعف والظروف المزرية التي أصبح المجتمع الجزائري رهينا لها؛ انبثق نور وأمل ارتبط بفكرة بناء الأمة ومحاولة إنقاذها من الشتات والتقهقر الذي كانت تعيشه، فجاءت الدعوة الإصلاحية على يد رجالات الفكر الإصلاحي حاملة رسالة تنادي بضرورة العودة إلى الإسلام؛ لأنه منبع الإصلاح والسبيل للوصول بالأمة إلى مراتب النهضة والازدهار على يد أبرز رواد الفكر الإصلاحي الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي (١٨٨٩- ١٩٦٥م) الذي تبنى أفكار تحرير الشعوب العربية من الاستعمار وتحرير الذهنيات من الجهل والخرافات؛ وبعث الوعي الفكري وإرجاع المسلمين للنهج السليم. فقد اعتمد شيخنا الجليل على الكثير من الإصلاحات، منها: (التربية؛ التعليم؛ بناء المساجد؛ والمدارس ...) حيث اعتبرها الأساس الصحيح والمهم لمقومات الإصلاح.

فما هو دور الفكر الإصلاحي الديني في تقويم عقول الأجيال الناشئة؟ وما هي إسهامات البشير الإبراهيمي فيها؟.

- **أهمية الدراسة:**

في ظل تلك الظروف المزرية زمن الاضطهاد الاستعماري، كانت الأمة الإسلامية بحاجة إلى من يبعث فيها روح الدين والإصلاح، فكان لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور في عملية الإصلاح والنهضة وتغيير الوضع الراهن للأمة من خلال حركة الدعوة التجديدية التي قادها أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي كان من أبرز أعلامها. فقد عمل معهم على تغيير الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسية، فجاءت إسهاماته منقطعة النظير لما فيه صلاح العباد والبلاد.

- **أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة إلى تبيين الجهود الإصلاحية للشيخ البشير الإبراهيمي، من خلال استعراض بعض القضايا الفكرية وإظهار آثارها ودورها التوجيهي؛ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- أبعاد تأسيس جمعية العلماء المسلمين.

٢- الإبراهيمي واللغة العربية.

٣- الإبراهيمي والثورة الجزائرية.

٤- الإبراهيمي وقضايا المرأة.

- **منهج الدراسة:**

وقد اتبعنا في سبيل ما سعينا إليه منهجا حسب طبيعة الدراسة إلى المنهج الوصفي بآلية التحليل، وهو المنهج الأكثر سيطرة على البحث، من خلال بسط وتحليل أفكار الإبراهيمي الإصلاحي. وكذا الاستعانة بالمنهج التاريخي من خلال سرد الأحداث والوقائع أيام المحتل، وكذا مسار الحركة الإصلاحية.

١- العوامل التي ساعدت على ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر، وأبعاد تأسيس جمعية العلماء المسلمين:

يعتبر كتاب الله، وسنة نبيه الكريم، وسيرة السلف الصالح من أهم المرتكزات التي قامت عليها الحركة الإصلاحية، والتي تمخض عنها تأسيس جمعية العلماء المسلمين، وقد عملت هذه الأخيرة على إصلاح الوضع المأساوي الذي آلت إليه الشعوب العربية تحت وطأة الاستعمار. قصد توحيد المسلمين من خلال إصلاح العقيدة والأفكار، فقد اهتم أعضاء جمعية العلماء المسلمين بالجانب الديني اهتماما بالغا، واعتبروه الأساس في محاربة المستعمر، وأشادوا بدور الوازع الديني في تنشئه المجتمع الجزائري وإصلاحه على الأخلاق الحسنة والفاضلة، وتثبيت معالم الشريعة الإسلامية المبنية على العقيدة الصحيحة في ظل اتباع المستعمر شتى الطرق والأساليب، كتشجيع تعلم اللغة الفرنسية، واضطهاد ومحاربة تعلم اللغة العربية، وكذا تحويل المساجد إلى كنائس، وجلب المعمرين الأوروبيين نحو الجزائر في محاولة لتمييع المجتمع الجزائري.

فنادى وحرص الشيخ الإبراهيمي على حرية المساجد والاعتقاد، وعدم اتباع سياسة الإدماج التي فرضها المستعمر على الشعب الجزائري.

إذاً فالحركة الإصلاحية في الجزائر لم تنشأ من فراغ، بل جاءت نتيجة ظروف وعوامل، ويمكن تقسيمها إلى:

١- **عوا مل داخلية:**

- ظهور حركة التبشير التنصيري المسيحي المحصن من طرف الاستعمار؛ قصد تنصير جميع فئات المجتمع الجزائري نساءً ورجالا.
- انحراف معظم الطرق الصوفية في الجزائر عن مبادئ الإسلام الصحيح، حيث أكثروا فيها البدع، بل أكثر من ذلك فقد تماشت هذه الطرق مع الإدارة الاستعمارية ضد مصالح الوطن الإسلامي(١).
- حرص الاستعمار الفرنسي في القضاء على الثقافة العربية الإسلامية من خلال محاربة تعليم اللغة العربية في الجزائر.
- سياسة القمع والاضطهاد الممارسة ضد الشعب الجزائري من طرف الإدارة الاستعمارية.
- سياسة الفرنسة والتجنيس التي أرادت دولة الاحتلال فرضها على الجزائريين(٢).

فكانت هذه العناصر وغيرها تمثل العوامل الداخلية التي أسهمت في بلورة الفكر الإصلاحي.

أما العوامل الخارجية فتمثلت في ما يلي:

- اليقظة العامة التي عمت في الشعب الجزائري بعد الحرب العالمية الأولى، وتطلع الجزائريين إلى الإصلاح الشامل الذي ينهض بهم دينيا، وثقافيا، واجتماعيا، وسياسيا... في ظل الوضعية السيئة التي كانوا عليها قبل الحرب.
- وصول المجلات والجرائد العربية الشرقية التي كانت تتسرب إلى الجزائر حاملة معها الدعوة الإصلاحية التي نادي بها: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده.. وإصدارات متنوعة: مجلة العروة الوثقى، ومجله المنار، وجريدة المؤيد، وجريدة اللواء.... وغيرها من المجلات والجرائد التي تهتم بفكرة التجديد والإصلاح الإسلامي(٣).
- تأثر الفكر الجزائري بنهضة الشرق العربي، مما أفاد الكفاح الجزائري في تثبيت شخصيته(٤).

كما تجدر الإشارة إلى أن في قلب شبه الجزيرة العربية برز إلى الوجود رجل دعا إلى ثورةٍ يرى أنها كانت من أجل علم التوحيد، وهو "محمد بن عبد الوهاب" والذي عرفت حركته في ما

بعد باسم "الحركة الوهابية"، وهي في رأيه دعوة للعودة بالمسلمين إلى الشهادة كما فهمها السلف الصالح. وتقوم هذه الدعوة على مبادئ منها: العودة بالإسلام إلى صفائه الأول، كمنع التوسل والاستعانة بغير الله(٥).

ومما سبق نستنتج أن هناك عوامل داخلية وأخرى خارجية تضافرت وأسهمت في نشأة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، وفي هذا الصدد نجد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يحدثنا عن الاتجاهات الرئيسية التي وزعت المصلحين من أتباع المدرسة الإصلاحية، قبل تكوين جمعية علماء المسلمين عام ١٩٣١م، ويذكر لنا اتجاهين كان يسودان تلك الأوساط:

- الاتجاه الإصلاحي (البطيء)، كان أصحابه يرون أن السبيل إلى الإصلاح المثمر يكون عن طريق التربية والتعليم. من أجل تكوين جيل قائد يعمل على إحداث النهضة التي تقوم بالشعب الجزائري إلى الحضارة.

- اتجاه ثوري (متحمس)،كان أصحابه يرون أن السبيل في الإصلاح يكون عن طريق القيام بثورة فكرية ودينية، تزلزل قواعد البدع والخرافات وتقضي على "الطرقية" التي يقوم الاستعمار بحمايتها(٦). وبعد الحرب العالمية الأولى تبنى الحركة الإصلاحية في الجزائر "الشيخ عبد الحميد بن باديس" مفهوم الإصلاح لا يكون محظورا في مسائل العقيدة وحدها، بل لابد أن يكون كما قال ابن باديس: "إصلاح العقول هو المقدمة الطبيعية لكل إصلاح ناجح في المجتمع"(٧).

فالحركة العلمية الإصلاحية الدينية التي انطلقت بوادرها مع بداية القرن العشرين تطورت بقيام "الشيخ عبد الحميد بن باديس" بالتدريس في قسنطينة بعد تخرجه من جامعة الزيتونة سنة ١٩١٣م، وكان بمسجد سيدي قماش يقضي يومه في تعليم الشبان مبادئ العلوم والإسلام الصحيح، يوجههم التوجيه الحسن، وفي الليل يلقي دروسه على الشيوخ بالجامع الأخضر.

كما نضجت الحركة الإصلاحية بعودة بعض العلماء من مهجرهم بالشرق العربي إلى الوطن، من أمثال: الطيب العقبي، البشير الإبراهيمي.... الذين سبق لهم أن انتقلوا للمشرق الإسلامي، إما هربا من التجنيد الإجباري، أو طلبا للعلم(٨).

بالإضافة لما سبق؛ فإن الحركة الإصلاحية الجزائرية ارتبطت بتطور الوعي الوطني، وبفعل انتشار الروافد الشرقية: صحف، كتب، زيارات شخصية.... وكذا النوادي، والجمعيات، والأحزاب السياسية، كما ظهرت كنتيجة للصدمة الحضارية التي تأثر بها العالم العربي، بحيث

اهتموا بالواقع الجزائري، حيث تركزت جهود رجال الإصلاح على بعث الأمة الجزائرية العربية الإسلامية(٩).

وفي الأخير نستنتج أن جهود علماء الإصلاح كانت كبيرة وعظيمة، وذلك من أجل الارتقاء بمستوى التفكير والتعليم والقضاء على كل البدع والخرافات التي خلفها الاستعمار الفرنسي منذ دخوله أرض الجزائر الطاهرة.

أ- المنطلقات الفكرية الإصلاحية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

يعد العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من أبرز أعلام الإصلاح في الجزائر، فقد كانت إصلاحاته اتجاه الأمة الجزائرية هادفة إلى بعث وإحياء اللغة العربية، وبذل مجهودات جمة في سبيل نهضة الأمة لمحاربة ما طرأ على الدين الإسلامي من بدع وخرافات "الطُرقية" من جهة، والاستعمار الفرنسي من جهة أخرى فقد كانت إسهاماته الدينية والاجتماعية والثقافية لها دور فعال في التجديد والإصلاح الديني للناس.

ب- نبذة عن حياة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

مولده ونشأته:

ولد العلامة بقرية "رأس الوادي بناحية مدينة سطيف بالشرق الجزائري في ١٤ من يونيو عام ١٨٨٩م.(١٠) الموافق ليوم الخميس الثالث عشر من شوال عام ١٣٠٦هـ، تبنى أفكار تحرير الشعوب العربية من الاستعمار وتحرير العقول من الجهل والخرافات، نشأ في بيت من بيوت العلم والدين. وقد أتم حفظ القران الكريم على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي الذي اكتشف المواهب المبكرة، وكان له الفضل الأكبر في تربيته وتكوينه، حتى جعل منه ساعده الأيمن في تعليم الطلبة(١١).

وفي عام ١٩١١م انتقل هرباً هو ووالده إلى المدينة المنورة من ويلات المستعمر الفرنسي، واستقر في بيت جده الشيخ السعدي الإبراهيمي، حيث كانت له فرصة من خلال هذا الانتقال في اللقاء بعدد من العلماء والأدباء والشعراء، حيث حضر بعض الدروس في الأزهر وعندما استقر في المدينة المنورة درس فيها على كبار علمائها الوافدين من كل أنحاء العالم الإسلامي: علوم التفسير الفقهي والتراجم وأنساب العرب، ثم أصبح يلقي الدروس للطلبة في الحرم النبوي، ويقضي أوقات فراغه في المكتبات العامة والخاصة بحثا عن المخطوطات القديمة.

التقى الشيخ الإبراهيمي بالإمام عبد الحميد بن باديس عام ١٩١٣م، وما من شك أن تلك اللقاءات شهدت ميلاد فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين. وفي سنة ١٩١٧م انتقل الإبراهيمي إلى دمشق حيث دعته حكومتها إلى تدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية "مكتبة عنبر"، بالإضافة إلى إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد في الجامع(١٢).

وفي عام ١٩٣١م تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على إثر احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلال الجزائر، مع اقتناعها أن الجزائر قد أصبحت إلى الأبد قطعة منها: مسيحية الدين، فرنسية اللغة.... فجاء شعار الجمعية تاريخا مدويا في وجه فرنسا "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا".

ج– مؤلفات البشير الإبراهيمي:

يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

> "لم يتسع لي وقت للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، لكنني أفتخر بأنني ألفت للشعب رجالا وعملت لتحرير عقوله، وتصحيح دينه ولغته فأصبح مسلما عربيا"(١٣).

فقد أسهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في موضوعات مفيدة، تشمل المقالات التي كتبها في جريدة البصائر في السلسلة الثانية، وهو المؤلف الوحيد الذي طبع في حياته بعد الاستقلال، وقد ظهرت الطبعة الأولى منذ سنة ١٩٦٣م بالقاهرة ثم في الجزائر سنة ١٩٧١م، كتاب: "بقايا فسيح العربية في اللهجة العامية في الجزائر" تناول فيه بالدراسة أصول اللهجة السائدة في المواطن: بن هلال بن عامر، كتاب أسرار الضمائر في العربية، كتاب التسمية بالمصدر، إلى آخره من المؤلفات والكتب والرسائل.

د– من قضايا الفكر الإصلاحي الديني عند البشير الإبراهيمي:

١– الشيخ الإبراهيمي وقضية اللغة العربية:

من أولويات وأهداف الاستعمار الفرنسي في الجزائر نهب خيرات البلاد من جهة، ومحاولة محو الشخصية الجزائرية ودمجها في المجتمع الفرنسي من جهة أخرى، من خلال محاربة اللغة العربية وفرض اللغة الفرنسية بدلا منها. وكذا محاولة تشويه وطمس معالم الدين الإسلامي بتحويل جميع المساجد إلى كنائس. ولكن رعاية الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة، وحفظه لعروبتها ودينها ومبادئها، بتسخير رجالاتٍ همهم الأسمى الحفاظ على البلاد والعباد، وكان على رأسهم

الشيخ البشير الإبراهيمي؛ فقد حاول هذا الأخير الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية فناضل بلسانه وقلبه وأسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع رفاقه المخلصين، أمثال: الشيخ عبد الحميد بن باديس، وكان شعارهم: "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا".

لقد أدرك العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي أن المحافظة على اللغة العربية في الجزائر هي المحافظة على الإسلام لأنها لغته وبها ينتصر، بالرغم من أن اللغة العربية ليست لغة المجتمع الجزائري الأصلي لأن سكانه الأصليون بربر. ولكن هذا لم يقف حاجزا أمام المحافظة على اللغة العربية والاعتناء بها للحفاظ على الأمة والدين، فالعرب والبربر بينهما تداخل في شتى مجالات الحياة في هذا الوطن، ولا يمكن الفصل بينهما، فأدرك أن بقاء اللغة العربية في الجزائر هو بقاء الإسلام فيها(١٤).

وفي ظل الظروف الصعبة التي فرضها المستعمر الغاشم، من خلال فرضه للغة الفرنسية كلغة رسمية بدل العربية، وتعميمها في الإدارة والتعليم والوثائق، بالإضافة إلى وجود المعمرين الأوروبيين جنبا إلى جنب في المجتمع الجزائري، طول فترة الاستعمار منذ دخوله سنة ١٨٣٠ وحتى خروجه سنة ١٩٦٢م. وهذا ما أدى إلى ضعف وتقهقر وتراجع تعلم اللغة العربية واستعمالها. فقد حاول المستعمر بشتى الطرق المختلفة القضاء على اللغة العربية. مما جعل مهمة إحيائها في نفوس النشء مهمة صعبة جدا، فقد أصدر الاستعمار مرسوما في سنة ١٩٣٨م اعتبر فيه اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، لا يجوز تعلمها ولا تعليمها(١٥).

وهذا ما يفسر الحقد الصليبي الذي حمله الاستعمار، وكان يرى في القضاء على اللغة العربية القضاء على الهوية الإسلامية لهذا البلد، محاولا تمييعه حتى يصبح مثل المجتمع الإسباني، ثم إلحاقه بفرنسا. ويقول الشيخ الإبراهيمي في هذا الصدد:

> "أما في الجزائر فإن مشكلة العروبة أساسها وسببها الاستعمار الفرنسي، وهو عدو نافر للعرب وعروبتهم ولغتهم ودينهم الإسلام، ووجود المشكلة منوط بوجوده، فإذا زال العنصر الأكبر منها والسبب الأعظم فيها زال الأثر، وإذا بقي ولو إلى حين فمشكلة العروبة في الجزائر راجعة إلى واحد من اثنين، إما أن نغلب الاستعمار بعروبتنا ونعالج المشكلة بأيدينا، وهذا ما تفعله جمعية العلماء المسلمين منذ قامت، ثم لا نجده عائقا بعد الاستعمار الفرنسي لخلو الجزائر من العناصر

العائقة كما ذكرنا، وإما أن يغلبنا الاستعمار على عروبتنا، فتتطور المشكلة إلى شيء آخر، وهو ما يقض مضاجعنا"(١٦).

وبيان ما تم ذكره أن الاستعمار الفرنسي صليبيي النزعة، وجاءت مبادئه وأهدافه منذ احتلال الجزائر على محو الإسلام، لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم وعلى محو العربية لأنها لسان الإسلام.

٢– الإبراهيمي وقضية المرأة:

تعد قضية المرأة من القضايا التي شغلت حيزا كبيرا في كتابات الشيخ الإبراهيمي ودعوته وإصلاحه، وكانت محل اهتمام وانشغال، فهو الذي نادى بعدم تقليد المرأة الجزائرية للمرأة الفرنسية؛ لأن عاداتهم وتقاليدهم غير عاداتنا وتقاليدنا، حيث يقول في أحد مقالاته:

"وهلا فكروا في تقوية عقلها بالعلم، وفي تقوية جسمها بالغذاء، وفي حفظ صحتها بالعلاج، وفي حفظ نسلها بالرعاية، وفي تخفيف ويلاتها بالاهتمام، أم هم يعتبرون المرأة العربية المسلمة في الجزائر قطعة من المرأة الفرنسية في أوروبا؟!"(١٧).

كما يبين في كثير من المواطن أن الإسلام لم يظلم المرأة فأعطاها حقوقها كاملة في الميراث، ولم يلزمها بالنفقة ولم يظلمها في المهر. ومن الأولويات والحقوق التي طالب بها الشيخ الإبراهيمي في قضية المرأة هي التعليم، فسعى جاهدا في تعليمها قبل وبعد تأسيس جمعية العلماء فأقر لها بالتعليم مثلها مثل الرجل في حدود تعاليم الدين وكان وسطا بين الفريقين، الفريق الأول رفض تعليم المرأة وخروجها، وفريق آخر قَبِل بتعليم المرأة وخروجها والمغالاة في حريتها حتى تصبح مثلها مثل المرأة الأوروبية.

الشيخ رحمه الله كان وسطا بين الفريقين وضمن حقوق المرأة وحريتها في حدود تعاليم الدين الإسلامي. وشبه الأمة الإسلامية بالطائرة لا تطير إلا بجناحين، وجناحاها هم الرجل والمرأة، فالأمة التي تخص الرجل بالتعليم دون المرأة تريد أن تطير بجناح واحد. فهي واقعة لا محالة، استنادا لكتاب الله وسنة رسوله: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة".

كما أن شيخنا الجليل كان يوقن بأن المرأة هي عمق أي مجتمع، وهي حاضنته، منها الانطلاقة وإليها الانتهاء، لذلك كان يركز عليها، ويفعّل دورها، ويجعلها محورا مهما في مقاومة المحتل، وقد قيل: "وراء كل رجل عظيم امرأة"، فكان هذا شعاره رحمه الله، فقد قال في إحدى خطاباته:

"المرأة المسلمة موضوع ذو شعب جهلها، تربيتها، تعليمها، حجابها، وظيفتها في البيت...."(١٨).

وكان رحمه الله ضد تعليم اللغة الفرنسية للمرأة الجزائرية؛ لأنه في نظره يجب على المرأة الجزائرية أن تتعلم العربية قبل الفرنسية؛ لأن هذه الأخيرة ليست لغة الجزائر، وإنما هي لغة الاستعمار، فالفرد عليه تعلم لغته الأم قبل اللغة الأجنبية، وأن اللغة العربية هي المتصلة بالدين، والعادات، والتقاليد، والتاريخ، يقول الشيخ:

"وإنما السبب الأول لهذا الإقبال على تعليم البنت باللغة الفرنسية هو تقليد من أغرب أنواع التقليد، يصح أن نسميه تقليد المنافسة"(١٩).

ويتبين لنا من خلال القول السابق تأثره الواضح بالعلامة ابن خلدون في مقولته: "إن المغلوب متأثر بتقليد الغالب" فكان رحمه الله يستمد منه عدة أفكار.

وقد كانت مسؤولية جمعية العلماء المسلمين بعد تأسيسها تعليم الفتيات اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي إلى جانب الرجل، رغم مضايقة الاستعمار هذا النشاط قبل تأسيس الجمعية، وأطلق عليه البشير الإبراهيمي اسم الفجر الصادق، تمييزا له على ما كان قبله من تعاليم الحكومة الفرنسية.

ولا يوجد غيرها من المدارس إلا بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين التي كان لها دور كبير في نشر العلم والمحافظة على اللغة العربية، وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وأصبحت الجزائر مثلها مثل بقية الدول العربية والإسلامية. وكان رأي الشيخ البشير الإبراهيمي في قضية المرأة واضحة من خلال كتاباته، وخُطبه، ودروسه... فالمرأة المسلمة في نظره يجب أن تتعلم وأن

تعمل كل شيء، مثلها مثل الرجل، ولها كل الحقوق، ولكن دائما تحت دائرة دينها وتعاليمه وتشريعه، لا تحيد عنه ولا تتجاوزه.

٣- البشير الإبراهيمي والثورة الجزائرية:

كان الشيخ البشير الإبراهيمي يدافع ويجاهد عن الجزائر منذ نعومة أظافره؛ لأنه عاش في وقت كانت فيه بلده الجزائر تحت رحمة الاحتلال الفرنسي الذي غزاها في سنة ١٨٣٠م متضرعا بحادثة المروحة الشهيرة. فكان شيخنا الجليل يجاهد بكل ما أوتي من قوة لكفاح هذا المستعمر الغاشم، وتعرضه للتعذيب والسجن والنفي دلالة قوية على نضاله وكفاحه، وبعد قيام ثوره التحرير الكبرى كان الشيخ البشير الإبراهيمي أحد الزعماء الكبار المناضلين في صفوفها، بالرغم من تواجد الإبراهيمي في المشرق، إلا أنه كان من الأوائل الذين لبوا هذا النداء ودعوا إلى احتضان الثورة والالتفاف حولها، باعتبارها حدثا شعبيا وتاريخيا ودينيا يجب القيام به؛ لأنه يهدف إلى تحرير الجزائر واسترجاع الشعب سيادته واستقلاله، فأصدر رحمه الله فتوى من القاهرة، باعتباره رجل دين له وزنه ومقامه، وأيضا باعتباره رئيسا لجمعية العلماء، يدعو فيها الشعب الجزائري إلى التوجه للجهاد، وأنه حق وفرض وواجب على كل من استطاع إليه سبيلا، وأن فرنسا كافرة ويجب مقاومتها شرعا، وقد آن الآوان خصوصا بعد اندلا ع الثورة"[٢٠].

وأهم المواضيع التي عالجتها مقالاته المنشورة: الدعوة للجهاد، وعدم موالاة المستعمر، وأن موالاته خروجٌ عن الإسلام، وغيرها من المقالات، بأسلوب لغوي بليغ، وهو أحد مميزات كتابات البشير الإبراهيمي.

وكان يربط رحمه الله التاريخ الإسلامي بالثورة الجزائرية في مقالاته، من بينها ربطه بين غزوة بدر والثورة الجزائرية، بمقال عنوانه: "عبرة من ذكر بدر ونفحات من فتح مكة"[٢١]... وغيرها، كما أنه كان ينادي باستقلال الجزائر وطرد المستعمر من أرض الجزائر الطاهرة، مثل بقية الدول العربية والإسلامية، عن طريق البرقيات والرسائل لملوك ورؤساء هذه الدول، وكذلك

عن طريق حضور المؤتمرات الدولية، مثل: مؤتمر "باندونغ" و"أسبوع الجزائر" بالعراق، و"يوم الجزائر" وغيرها.

وقد استطاع الشيخ الإبراهيمي ببراعة كتابته وقوه فكره الإصلاحي، وصدقه، وقوة حجته، ورصانة أسلوبه، وروعة خطابه؛ في إقناع المشارقة بحقيقة ثورة الجزائر وأهميتها، ومن ثم كان الدعم السياسي والدبلوماسي.

الشيخ البشير الإبراهيمي دافع عن الثورة الجزائرية في عدة ملتقيات ومحافل دولية، وأبرز دور العرب والمسلمين في محاربة الاستعمار، وكان يدعو في الخارج والداخل لدعم الثورة ومواصلة النضال خصوصا بعد قيام الثورة؛ لأنه كان هناك بعض ضعاف النفوس والعملاء لصالح فرنسا، فكان الإبراهيمي من الأوائل الذين آمنوا بأن الجهاد هو الوسيلة الأنجع لتحرير الوطن من الاستعمار، وهو نابع من إيمانه بربه الذي أقر بواجب الجهاد.

منطلقا من قناعة أن الفرنسيين لا يدينون إلا للقوة، ويضاف إلى ما سبق معرفة الإمام بنفسية وعقلية الشعب الجزائري الذي فُطر على حب الجهاد دفاعا عن دينه وعرضه وأرضه حتى سميت أرضه في فتره من تاريخه أرض الجهاد، وسميت أحد أبواب عاصمته باب الجهاد، فمسألة تحرير الجزائر عن طريق الجهاد مسألة مفروغ منها بالنسبة للإمام الإبراهيمي و"إن تقوّل المتقولون، وارتجف المرتجفون"(٢٢).

وما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ الإبراهيمي بعد الاستقلال قد التزم بيته، ولم يطمع في مكاسب مادية أو معنوية في الدولة الجزائرية، وهذا يدل على قوه إيمانه بالجهاد، وأن الجزاء يلتمسه من عند الله سبحانه وتعالى، وعاش بعد الاستقلال سنتين، وألقى خطبته الشهيرة بمسجد "كتشاوة "بالعاصمة، بعد تحوله إلى مسجد. بعدما كان كنيسة في وقت المستعمر الغاشم. وقد وافته المنية سنة ١٩٦٥م وكانت جنازته مهيبة، وكأنها بمثابة تظاهرة سياسية خرج فيها أكثر من ٢٠٠ ألف مشيع من المسجد الكبير بالعاصمة إلى مقبرة سيدي محمد بحي

بلكور، وحضرها الرئيس الراحل هواري بومدين، وكان حينها وزيراً للدفاع، وألقى كلمة قصيرة قال فيها:

"إن وفاة الإبراهيمي ليست خسارة للأسرة ولا خسارة للجزائر فقط، وإنما هي خسارة للعالم الإسلامي قاطبة"(٢٣).

فرحم الله الشيخ البشير الإبراهيمي رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

الخاتــمة:

لا أحد ينكر فضل مشايخنا الكرام من أعضاء جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسهم العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي الذي يعد من علماء الجزائر القلائل، الذي جابه المستعمر الفرنسي، وتحدى الصعاب في وقت كان فيه العمل الإصلاحي من أصعب المهمات، فيعد أحد بُناة النهضة العلمية والإسلامية ومربي الأجيال على الهداية القرآنية والهدي المحمدي، وغارس بذور الوطنية في المجتمع الجزائري، من خلال إحياء تعاليم الدين الإسلامي والمحافظة على اللغة العربية ومحاربة البدع والخرافات.

وكتاباته شاهدة عليه إلى يومنا هذا، وهو من الذين نذروا أنفسهم لخدمه البلاد والعباد، كما يرجع إليه الفضل في حفظ الهوية الإسلامية للشعب الجزائري، وتوحيد صفوفه، لمحاربة المستعمر الفرنسي الذي حاول طمس هوية الأمة الإسلامية ومحاربة عقيدتها وثقافتها بلا هوادة، وبكل وسيلة ممكنة، وتجريد الشعب الجزائري من شخصيته العربية الإسلامية، وهدم عقيدة الأمة، وقتل روح الجهاد، ومحاربة اللغة العربية، وإحلال الفرنسية محلها لتكون لغة التعليم والثقافة.

وقد حاولنا في هذه الورقة الكشف عن بعض جوانب الإصلاح، ولكن الإحاطة بكل جوانبه تحتاج إلى مؤلفات ودراسات وأبحاث عديدة، لأن الشيخ البشير الإبراهيمي عالم من علماء الجزائر وأحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين، ومن الذين أسهموا في نهضة الجزائر العلمية، والأدبية والدينية والثقافية والوطنية.... وندعو من منبرنا هذا جميع الدارسين

والدارسات، والباحثين والباحثات إلى المداومة على إحياء ذكراه بالترحم، والدراسة، وتعريف الأجيال به، وإطلاق اسمه على عدة مراكز ومؤسسات علمية وثقافية؛ لأنه الشعلة التي استضاءت بها الجزائر، ونالت حريتها واستقلالها، فرحم الله علماءنا الأجلاء، ورزقهم الفردوس الأعلى.

المصادر والمراجع:

١) الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، نبيل أحمد البلاصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ١٩٩٠م.

٢) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي١٩٢٩- ١٩٤٠، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

٣) التاريخ السياسي للجزائر من بداية ١٩٥٤ إلى غاية ١٩٦٢، عمار بحوش، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع – بيروت، ١٩٩٧م.

٤) التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف، رابح لونيسي، دار كوكب العلوم ٢٠٠٩م.

٥) جمعية علماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الأخرى، عبد الكريم بوصفاف، دار مداد للنشر والتوزيع – فسنطينة، ٢٠٠٩م.

٦) الحركة الوطنية الجزائرية، سعد الله أبو القاسم، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، ١٩٩١م.

٧) الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، رابح تركي عمامرة، المؤسسة الوطنية للاتصال – الجزائر، ط/٥، ١٤٢٢ -٢٠٠١م.

٨) الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة ١٩٥٦- ١٩٩٠، خير الدين سترة، دار البصائر – الجزائر.

٩) مشكلة العروبة في الجزائر محاضرة للشيخ البشير الإبراهيمي في ندوة الإصفاء، الإبراهيمي محمد البشير، دار مصر للطباعة، ١٩٥٥م.

١٠) من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، عزيز بن عامر، منشورات الحبر – الجزائر، ط/٢، ٢٠٠٨م.

المواقع الالكترونية:

- موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس على شبكة الإنترنت: www.binbadis.net
- أحمد طالب شاهد على عصر الثورة الجزائرية، ج٦، شبكة الجزيرة: www.aljazeera.net

---

(الهوامش *References*)

(١) عمامرة، رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص: ١٩٨، المؤسسة الوطنية للاتصال– الجزائر، ط/٥، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

Aʿmāmrat, Rābeḥ Turkī: Ash-Shaīkh Aʿbd Ul-Ḥamīd Ibn Bādīs Rāʾid Al-Iṣlāḥ Al-Islāmī Wāltarbaīt Fi Al-Jazāʾir, P. 198.

(٢) المرجع نفسه، ص: ١٩٨.

Ibid, P. 198.

(٣) بحوش، عمار: التاريخ السياسي للجزائر من بداية ١٩٥٤ إلى غاية ١٩٦٢، ص: ١٩٧، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع – بيروت، ١٩٩٧م.

Baḥūsh, Aʿmmār: At-Tārīkh As-Sīāsī Leljzāʾir Men Bedāīt 1954 Ila Ghāīt 1962, P: 197.

(٤) البلاصي، نبيل أحمد: الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، ص: ٤٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ١٩٩٠م.

Ālbalāṣī, Nabīl Aḥmad: Al-Ittjāh Al-Aʿrbi Al-Islāmī Ūa Daūruhu Fī Taḥrīr Al-Jazāʾir, P: 44.

(٥) بوصفاف، عبد الكريم: جمعية علماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الأخرى، ص: ٥٧، دار مداد للنشر والتوزيع – فسنطينة ٢٠٠٩م.

Būṣfāf, Aʿbd Ul-Karīm: Jamʿīat Uʿlamāʾ Al-Muslemīn Al-Jazāʾiryin Ūa Aʿlāqatuhā Belḥarkāt Al-Ukhra, P: 57.

(٦) الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص: ٢٠٠.

Ash-Shaīkh Aʿbd Ul-Ḥamīd Ibn Bādīs Rāʾid Al-Iṣlāḥ Al-Islāmī Wāltarbaīt Fi Al-Jazāʾir, P. 200.

(٧) المرجع نفسه، ص: ٢٢٢.

Ibid, P. 222.

(٨) لونيسي، رابح: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف، ص: ٤٩–٥٠، دار كوكب العلوم، ٢٠٠٩م.

Lūnīsī, Rābeḥ: At-Tīārāt Al-Fekrīat Fi Al-Jazāʾir Al-Muʿāṣerat Baīn Al-Itefāq Wāl Ikhtelāf, P. 49-50.

(٩) سترة، خير الدين: الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة ١٩٥٦–١٩٩٠، ١/ ٤٩–٥٠، دار البصائر – الجزائر.

Sutrat, Khaīr Ad-Dīn: Aṭ-Ṭalabat Al-Jazāʾiryin Bejāmʿ Al-Zaītūnat 1956-1990, 1/ 49-50.

(١٠) الإبراهيمي، أحمد طالب: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي١٩٢٩– ١٩٤٠، ٩/١، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

Ālibrāhīmī, Aḥmad Ṭāleb: Athār Al-Imām Muḥamad Al-Bashīr Al-Ibrāhīmī 1929-١٩٤٠, ١/٩.

(١١) بن عامر، بعزيز: من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، ص: ١٠٠، منشورات الحبر – الجزائر، ط/٢، ٢٠٠٨م.

Ben Aʿāmer, Bʿazīz: Men Dhekrīātī Aʿn Al-Imāmaīn Ar-Raʾīsaīn Aʿbd Al-Ḥamīd Bin Bādīs Ūa Muḥamad Al-Bashīr Al-Ibrāhīmī, P: 100.

(١٢) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص: ١٢٢.

Athār Al-Imām Muḥamad Al-Bashīr Al-Ibrāhīmī, P. 122.

(١٣) المرجع نفسه، ص: ١٢٣.

Ibid, P. 123.

(١٤) الإبراهيمي، محمد البشير: مشكلة العروبة في الجزائر محاضرة للشيخ البشير الإبراهيمي في ندوة الإصفاء، ص: ٢٠٧، دار مصر للطباعة، ١٩٥٥م.

Ālibrāhīmī, Muḥamad Al-Bashīr: Mushkelat Al-Uʿrūbat Fi Al-Jazā'ir Muḥāḍarat Lelshaīkh Al-Bashīr Al-Ibrāhīmī Fī Nadūat Al-Iṣfā', P. 207.

(١٥) موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس على شبكة الإنترنت: www.binbadis.net

(١٦) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ٥/ ٢٦٢.

Athār Al-Imām Muḥamad Al-Bashīr Al-Ibrāhīmī, 5/262.

(١٧) المصدر نفسه، ص: ١٣٠.

Ibid, P. 130.

(١٨) المصدر نفسه، ٤/ ١٣٣.

Ibid, 4/ 133.

(١٩) المصدر نفسه، ص: ٢٦٥.

Ibid, P. 265.

(٢٠) المصدر نفسه، ٤/ ٦٣.

Ibid, 4/63.

(٢١) المصدر نفسه، ٤/ ٦١.

Ibid, 4/61.

(٢٢) أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ١/ ٦٤، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، ١٩٩٢م.

'Abū Al-Qāsem, Saʿd Allāh: Al-Ḥarakat Al-Ūaṭanīat Al-Jazā'irīat, 1/ 64.

(٢٣) الإبراهيمي أحمد طالب: شاهد على عصر الثورة الجزائرية، ج٦، شبكة الجزيرة: www.aljazeera.net